

تفسير ابن كثير

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ

قال ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك ، والسدي ، وغيرهم : المراد بالبر هاهنا : الفياقي ،
وبالبحر : الأمصار والقرى ، وفي رواية عن ابن عباس وعكرمة : البحر : الأمصار والقرى ،
ما كان منها على جانب نهر . وقال آخرون : بل المراد بالبر هو البر المعروف ، وبالبحر :
البحر المعروف . وقال زيد بن رفيع : (ظهر الفساد) يعني انقطاع المطر عن البر يعقبه
القحط ، وعن البحر تعمى دوابه . رواه ابن أبي حاتم . وقال : حدثنا محمد بن عبد الله
بن يزيد المقرئ ، عن سفيان ، عن حميد بن قيس الأعرج ، عن مجاهد : (ظهر الفساد
في البر والبحر) ، قال : فساد البر : قتل ابن آدم ، وفساد البحر : أخذ السفينة غصبا . وقال
عطاء الخراساني : المراد بالبر : ما فيه من المدائن والقرى ، وبالبحر : جزائره . والقول الأول
أظهر ، وعليه الأكثر ، ويؤيده ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة : أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسلم صالح ملك أيلة ، وكتب إليه ببحره ، يعني : ببلده . ومعنى قوله تعالى :

(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) أي : بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي . وقال أبو العالية : من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض ; لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ; ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود : " لحد يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحا " . والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت ، انكف الناس - أو أكثرهم ، أو كثير منهم - عن تعاطي المحرمات ، وإذا ارتكبت المعاصي كان سببا في محاق البركات من السماء والأرض ; ولهذا إذا نزل عيسى [ابن مريم] عليه السلام ، في آخر الزمان فحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت ، من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية ، وهو تركها - فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف ، فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج ، قيل للأرض : أخرجي بركاتك . فيأكل من الرمانة الفئام من الناس ، ويستظلون بقحفها ، ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس . وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير ; [ولهذا] ثبت في الصحيح : " إن الفاجر إذا مات تستريح منه العباد والبلاد ، والشجر والدواب " . ولهذا قال الإمام أحمد

بن حنبل : حدثنا محمد والحسين قالا حدثنا عوف ، عن أبي قحزم قال : وجد رجل في زمان زياد - أو ابن زياد - صرة فيها حب ، يعني من بر أمثال النوى ، عليه مكتوب : هذا نبت في زمان كان يعمل فيه بالعدل . وروى مالك ، عن زيد بن أسلم : أن المراد بالفساد هاهنا الشرك . وفيه نظر . وقوله : (ليزيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) أي : يتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات ، اختبارا منه ، ومجازاة على صنيعهم ، (لعلهم يرجعون) أي : عن المعاصي ، كما قال تعالى : (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) [الأعراف : 168] .